

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم } أي في الافاق وفي أنفسكم { إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } أي من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم : من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل : عائد على المصيبة والأحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير : حدثني يعقوب حدثني ابن علي عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها } فسألته عنها فقال : سبحان الله ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة : ما أصاب من مصيبة في الأرض قال : هي السنون يعني الجذب { ولا في أنفسكم } يقول : الأوجاع والأمراض قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق - فيهم الله - وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا : حدثنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة] ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد وثلاثهم عن أبي هانئ به وزاد ابن وهب [وكان عرشه على الماء] ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله تعالى : { إن ذلك على الله يسير } أي إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابه لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقوله تعالى : { لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم } أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان { ولا تفرحوا بما آتاكم } أي جاءكم وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى : { والله لا يحب كل مختال فخور } أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة : ليس أحد إلا هو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبورا ثم قال تعالى : { الذين

يُخلون ويأمرون الناس بالبخل { أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه } ومن يتول { أي عن
أمره } وطاعته { فإن الله هو الغني الحميد } كما قال موسى عليه السلام { إن تكفروا أنتم
ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد }